الأهرام

المصدر: القدس العربى

التاريخ : ٢ اغسطس ٢٠٠٢

لأزمة السودانية.. أهلها أولى بحلها (1)

القيادات السودانية المتتابعة لم توظف التنوع السوداني توظيفاً إيجابياً يحقق الوحدة الوطنية

امريكا لقرنق: دولة امراء الحرب انتهت وعليك خلع البزة العسكرية واستبدالها بالبدلة

هذه قراءة سياسية و اجتماعية لازمة السودان، يقدمها سياسي سوداني، وناشط في العمل الحزبي السوداني منذ عقود، حيث يقدم السياسي عبدالله محمد أحمد حسن تحليلا لمعالم الأزمة السودانية التي قادت للاتفاق الاخير بين حكومة الانقاذ وقائد المتمردين جورج قرنق برعاية امريكية وغربية. ويتحدث السياسي السوداني هنا عن الجولات المكوكية التي قام بها المندوبون الغربيون في السودان، خاصة بعد احداث ايلول (سبتمبر) الماضي، واستعداد الحكومة السودانية لفتح ملفاتها الأمنية والتعاون مع الامريكيين. والقراءة هذه تحاول فهم المعضلة السودانية من الداخل، فالكاتب كما اسلفنا عمل في العديد من المواقع الحزبية والسياسية، وشارك في بعض حكومات الانقاذ قبل ان يتقاعد عن العمل الحكومي، ويتحول لمراقب وباحث ومهتم بشأن بلاده.

«القدس العربي»

استعراض عام

بهذا أبدأ استعراضاً عاماً لما استجد من تطورات حول البحث عن مخرج من مأزق الدمج بين مبادرتي مصر وليبيا ودول منظمة الإيقاد (المنظمة الأفريقية) وتعارض الإدارة الأمريكية بينهما.. وسألقي في استعراضي هذا الأضواء على بعض الخلفيات التوضيحية مع تعليقات ناقدة للمواقف والمبادرات المطروحة (سابقاً وحالياً) لحل مُستعص لهذه الأزمة..

وسأتبع في كتابة هذه السلسلة نهجاً يقسمها إلى فقرات مركزة التلخيص لمساعدة القارئ العربي في استيعاب عنصر القضية ومحاولات تفكيك مستعصياتها.. وأبدأ بالتالي من رؤوس الموضوعات التي حدثت وراء دخان أحداث فلسطين المحتلة في الخمسة أشهر الماضية.

سباق المندوبين

بدأ سباق مندوبين في أوج حرب أفغانستان بين أمريكا وحلفائها ضد طالبان حين أبدت حكومة السودان مرونة لفك ارتباطها مع الإرهاب بتسليم السلطات الأمريكية ملفات ذات علاقة بمن تلاحقهم أمريكا ومع القارئ نرصد هذه القائمة دون التزام بتواريخ هذا السباق:

- زار السودان مندوب صيني حكومي عالي المقام عن الرئيس الصيني للاطلاع على آخر المستجدات خاصة وأن الصين تملك أكبر نسبة من استثمارات نفط السودان الأجنبية.
- زار الخرطوم ثم نيروبي مندوب نيجيري عن الرئيس بابا نجيدا داعياً لاستئناف الحوار بين الحكومة والمعارضة المسلحة (جون قرنق) وفشلت المحاولة لأن المبادرة النيجيرية أسقطت فقرة تقرير المصير من أجندتها بحجة أن إدراجها يفتح باباً داخلياً لتقرير المصير في نيجيريا.. وقد أعلن هذا د. ريك مشار المعارض الجنوبي في مؤتمر صحافي في نيروبي.
- وزراء السودان وفد ترويكا سياسي من الاتحاد الأوروبي للاطمئنان على المصالح الأوروبية فيه خاصة وأن الاتحاد له خلافات مع أمريكا في التعامل مع الأزمة السودانية، جوهرها أن الاتحاد الأوروبي:

- يدير ما يسميه الحوار الانتقادي مع حكومة السودان حول حقوق الإنسان والمساعدات الإنسانية والتحرير السياسي وعلاقات الحكومة مع دوائر الإرهاب وعملية السلام بينها والمعارضة.
- وتبع الاتحاد سياسة ما يسميه الارتباط البناء مع حكومة السودان وذلك بعدم الاعتراض على استثمارات بعض الشركات الأوروبية في صناعة النفط السوداني وتصدير بعض مستويات التكنولوجيا غير العسكرية ومساعدة السودان في تذليل عقبات علاقته مع المؤسسات المالية الدولية والأوروبية واستقبال كبار المسؤولين السودانيين دون التزام حرفي بالحظر الأمريكي في هذا الشأن.

- وزار السودان مندوب سويسري للاطلاع على ما حدث في سجل حقوق الإنسان والتدرج نحو الديمقراطية ولكن المطلعين على ما وراء الأستار يقولون إن سويسرا تتطلع لموطئ قدم في صناعة النفط السودانية.
- وعينت بريطانيا سفيرها السابق في الخرطوم آلان قولتي مندوباً خاصاً لها لمتابعة الأزمة السودانية والمساهمة في حلها ويبدو أن ذلك تم في إطار الاتفاق البريطاني - الفرنسي على العودة إلى أفريقيا تجديداً لعلاقات هُجرت لصالح أمريكا عدة عقود.

وعقد مجلس التعاون البريطاني العربي (كابو) جلسة تنويرية لأعضائه خاطبها السفير آلان قولتي عن ما اطلع عليه خلال

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

زيارته إلى السودان بعد تكليفه بهذه المسؤولية .. وشهد اللقاء جمع لا بأس به من السودانيين وأهم ما ورد في حديثه إنه بانتظار صدور تقرير المندوب الأمريكي لينسق معه.

● وعين الرئيس الأمريكي مندوباً خاصاً له لفحص الأزمة السودانية ووضع توصيات له تمكنه من لعب دور فيها وهو السناتور السابق جون دان فورث.. وقام المندوب الأمريكي بزيارة الخرطوم حيث طرح على الحكومة أربع نقاط لتهدئة الصراع (ترويقه) إلى أن يستكمل الرئيس الأمريكي مراجعته لهذه الأزمة.. ومن هناك عرج على نيروبي ليبلغ المعارضة الجنوبية المسلحة نفس هذه الرسالة.. وختم جولته بتهديد صريح للطرفين بأن عدم الاستجابة لما طرحه يعني اتخاذ موقف أمريكي صادم ضد الطرف المتمرد على هذه الرغبة السامية.

ووافق الطرفان بالانخراط في اتفاق يفك الاشتباك بينهما في منطقة جبال النوبة بالجناح الجنوبي من إقليم كردفان الغربي ذي الحدود المشتركة مع الإقليم الجنوبي والتزم المندوب الأمريكي بتكثيف المساعدات الإنسانية لسكان الإقليم والتزمت الأطراف المتصارعة السودانية بوقف العمليات العسكرية وقبلت مبدأ التحقيق في الاتهامات المتبادلة بخطف السكان واسترقاقهم والتعدي على حقوق الإنسان وقصف القرى من الجو.. وأرسلت أمريكا أربع لجان تحقيق وتفتيش ومراقبة دولية (أمريكية - أوروبية) لمتابعة التزام الطرفين بما اتفق عليه.

زيارة بعد حظر طويل

وزار جون قرنق لندن بعد جولة في غرب أوروبا وعقد ندوة سياسية فاستمع إليه حشد كبير من المغتربين الشماليين والجنوبيين فأكد لهم:

● أنه سيواصل ضغطه العسكري على النظام الحاكم حتى يركع تحت حذائه العسكري وأن من أسلحته في هذا الضغط تدمير مرافق انتاج النفط السوداني وملاحقة الشركات الأجنبية المستثمرة فيه إلى أن تتوقف.

● وأنه سيغير المعادلة الراهنة التي مكنت الأقلية العربية الإسلامية السودانية (وقدّرها بـ 30 % - 35 %) أن تفرض هويتها العربية الإسلامية على الأغلبية من سكان السودان الأصليين (وقدرهم بـ 65 % - 70 %).

● وأنه شرع في تنفيذ برنامج لتنمية المناطق التي حررها بإنشاء الطرق والمدارس والمستشفيات بعون مالي وفني من أصدقائه داخل وخارج أفريقيا.

● وبشّر الحاضرين بأنه دخل في ترتيبات إصدار عملة جديدة للسودان الحديث وإنشاء بنك مركزي ووضع قواعد نظام اقتصادي جديد.

● وأعلن أنه يجري دراسات - الآن - لتحويل الميليشيات التي تقاتل معه لتخلف جيش السودان الحالي.. ولم ينس التفضل بدعوة المخلصين من بقايا القوات التابعة لحكومة السودان أن تنضم إلى هذا الجيش الجديد البديل للقوات السودانية الحالية.

تعليمات عليا

وقبل أن يغادر جون قرنق لندن استقبله جاك ستررو وزير الخارجية البريطاني ومنه خرج طائراً إلى واشنطن حيث استقبله كولن باول وزير الخارجية الأمريكية بعد أن كان مفترضاً أن يكون استقباله على مستوى أحد مساعدي الوزير وكانت الرسالة التي بلّغت له في المقاملين (لندن وواشنطن) حسب الرواية التي سرّبت أن دولة أمراء الحرب قد انتهت وأن العاصمتين تتطلعان لحل ديمقراطي بوسائل ديمقراطية. وأن عليه أن يهيئ نفسه لهذه المستجدات بتحويل تركيبته العسكرية الحالية إلى جهاز مدني ديمقراطي لا تجد العاصمتان حرجاً في التعامل معه في زمن تصديهما للعنف والإرهاب الدولي الراهن.

سباق مع الزمن

وعاد جون قرنق من واشنطن إلى قواعده في شرق أفريقيا حيث:

● أعلن دعوة الفصائل الجنوبية إلى الانخراط في الاندماج السياسي والعسكري الذي تم بين أجهزته والأجهزة التابعة للدكتور ريك مشار، المتمرد الذي انسحب من اتفاق الفصائل المقاتلة مع حكومة السودان.

● وأعلن نجاح المفاوضات مع حزب المؤتمر الشعبي (الإسلامي) بقيادة الدكتور حسن الترابي لتطوير العلاقات بين الطرفين.

● وأعلن دعوة المنظمات الشمالية السياسية وعلى رأسها حزب الأمة بقيادة الصادق المهدي رئيس الوزراء السابق لفتح حوار حول تعاون سياسي واسع يطيح بالنظام الحاكم ويُمكّن من قيام نظام جديد على هدي مبادئ إعلان دول الإيقاد ومقررات اسمرة.

● وفي هذا الإطار أعلن مسؤول بالحركة الشعبية لوسائل الإعلام الدولية يوم 2002/4/27 ترحيبه بتقرير المندوب الأمريكي إذ أن ما جاء فيه هو ما ظلت تسعى له الحركة الشعبية منذ بداية صراعها مع أنظمة الحكم السودانية المختلفة وهو المناداة بالوحدة - بين الشمال والجنوب - طالما حصلت على ضمانات سياسية ودينية.

وماذا جاء في تقرير المندوب الأمريكي؟

رفع المندوب الخاص الأمريكي تقريره إلى الرئيس بوش في أول الأسبوع الثالث من أبريل بعد حولي ستة أشهر من تكليفه بفحص الأزمة السودانية ونقلت وسائل الإعلام الأمريكية ملخصه وورد فيه أنه دعا الرئيس الأمريكي إلى:

● تعزيز العلاقات الدبلوماسية مع الخرطوم بإرسال طاقم دبلوماسي متمرس وفرق فنية مساعدة له ليكون الوجود الأمريكي في الخرطوم قوياً ومؤثراً.

● تقديم المساعدات الإنسانية الأمريكية للشماليين والجنوبيين وحث المنظمات الطوعية الخيرية على زيادة اهتمامها ومساعداتها للمحتاجين الشماليين مثلما تعمل مع الجنوبيين.

■ الضغط على الأطراف المتنازعة لتصل إلى تسوية سلمية بعد أن اتضح أن كليهما عاجز عن تحقيق نصر حاسم على الآخر في ميادين القتال وذلك بالعصا والجزرة (بالحوافز والعقاب).

● رفض فكرة انفصال الجنوب عن الشمال بحجة أن تقسيم السودان الحالي إلى دولتين:

- أمر غير واقعي سياسياً واقتصادياً.

- وأن شعب السودان سيكون في وضع أفضل إذا حصل على ضمانات سياسية ودينية واحترام لحقوق الإنسان في دولة موحدة.

● أن يستفاد من عصا تقرير المصير ضماناً للحقوق ولا يعني ذلك الانفصال بحال من الأحوال.. بحيث تكون العودة إليه إذا لم يفِ الطرف الحكومي بما التزم به من إصلاحات وحقوق للطرف المتظلم من جنوبيين ومهمشين.

● إلزام حكومة السودان - في إطار سلام عادل - أن تقبل الأفكار التالية:

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

رقصة شعبية سودانية

- اقتسام عائدات النفط مع الطرف المتمرد تسهيلاً لفرض إجراءات وقف إطلاق النار التي هي عائق هام لبداية حوار جاد يحقق اتفاق سلام شامل.
- قبول مراقبة دولية للحريات الدينية وضمان لتنفيذ اقتسام عائدات النفط.

وسلّمت نسخ من هذا التقرير لحكومة السودان وحكومة بريطانيا ودوائر المعارضة المسلحة وجهات أخرى منغمسة في هذا الشأن.

ولا بد أن نشير في هذا المقام إلى أن جُل أفكار تقرير المندوب الأمريكي الخاص مأخوذ عن تقرير جماعة الأزمات الدولية الذي أصدرته عن أزمة السودان في آخر يناير هذا العام.

وبما أنه تقرير تعرض للأزمة - جوهرها ومقترحاته لحلها - فيلزمنا أن نغلغل، هذا التقرير لنعرف كهف يتحسور الآخرون مشاكلنا ويقدمون لنا الحلول التي تخدم مصالحهم قبل أن تفك حيرتنا.

تقرير جماعة الأزمات الدولية

وأصدرت جماعة الأزمات الدولية تقريرها الأول عن السودان بحجم 270 صفحة وصدر في آخر كانون الثاني (يناير) 2002 ثم صدر له ملحق في نيسان (أبريل) 2002 وهو التقرير - الأصل - الذي جاءت توصيات المندوب الأمريكي تحوم حول استخلاصاته وتوصياته.. وبما أن التقرير طويل وغزير المادة التي أغلبها محل اختلاف فإنني سأختار موضوعات معينة منها، أعتقد أن واجبي تسليط الأضواء عليها للقارئ العربي والسوداني على وجه الخصوص.. لأن هذا التقرير هو - الآن - إنجيل الحل الأمريكي والدولي لأزمة السودان.. وفيما يلي نستعرض هيكله:

الدين والنفط والأرض

عرف التقرير بعنوان: الدين والنفط والأرض وهو عنوان يضع ثقل الأزمة في الصراع حول الدين والنفط والأرض وهو أمر غير صحيح لأن الأزمة السودانية منذ بدايتها في الخمسينات كانت تدور حول توزيع السلطة والثروة ولم يكن الدين أو النزاع حول الأرض من عناصرها.. كذلك لم يكن النفط سبباً من أسبابها لأنه جاء في الثمانينات والأزمة بدأت في الخمسينيات.

عناصر الأزمة؟

يمكن إجمال عناصر الأزمة في الفقرات التالية وهي توضح تركيبة من السياسات الخاطئة وتجاهل للمطالبات ومناهج اعتمدت القوة العسكرية والقانون العقابي في المعالجات.. والفقرات التالية توضح هذا الذي ذهبت إليه..

تخلف قسري

فرض الاستعمار تخلفاً قسرياً على جنوب السودان كله ومناطق معينة في الشمال: شرقه وغربه وجنوب وسطه وهي مناطق عرفت فيما بعد بالمناطق المهمشة.. أحكم إغلاق هذه المناطق بقوانين إداريه تمنع كل أنواع التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية منذ عام 1922 وحتى عام 1947 عندما أدرك الاستعمار أنه - لا مناص - راحل.. وقد أطلق الصحافي السوداني المرحوم أحمد يوسف هاشم على ذلك الحكم اسم «حكم المفتشين» .. وكان هناك حوالي عشرين مقاطعة على رأس كل منها مفتش انكليزي مطلق السلطات ونموذج هذا الحكم نستشهد عليه بالتالي:

● كان المستر مور في مركز كتم بشمال شرق دارفور في غرب

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

لم تكن ميزات المشروع الاسلامي في السودان حكرا على المسلمين وحدهم فقد شهدنا غير مسلمين يقرأون القرآن عن ظهر قلب في الافراح والمآتم وفي المسابقات الادبية واستمعنا لشعراء يدبجون القوافي الرصينة تغنيا بالمناسبات الاسلامية.. ولم يكن الدين محل وسبب نزاع في المجتمع السوداني

السودان يفرض على السكان حظر تجول يومي من بعد المغرب إلى الفجر.. وكان إذا ظهر على حصانه فعلى كل ماش أو جالس أن يقف وعلى كل راكب دابة أن ينزل منها إلى أن يمر سعادته.

● وكان المستر كريت في أحد مراكز الجنوب يصدر الأحكام وينفذها بنفسه ومن ذلك أن جنوبيا قطع رأس شمالي وهو ساجد.. فجاء المفتش ببلطة وطلب من القاتل أن يمثل له هيئة المقتول عندما قتله فسجد وإذا بالمفتش يقطع رأسه بالبلطة وهو في ذلك الوضع.

● وكان طبيعياً أن يستقبل المفتش المواطنين في مكتبه وهو عار تماماً من الملابس كما هي عادة المواطنين في ذلك الوقت بحجة أنه يحترم عرفهم وحضارتهم المحلية. هذا التخلف القسري الذي ألبس زوراً ثوب حضارة أفريقية شكل فاصلاً حضارياً بين الشمال العربي والمستعرب المسلم وبين الإنسان الذي فرض عليه قسراً أن يتخلف فاصبح يفهم أن أي محاولة لإخراجه من ذلك التخلف هي محاولة حرب على أعرافه وثقافته وتعد على هويته وخصوصياته.

ورطة الإدارات الوطنية

وقعت الإدارات الوطنية التي خلفت الاستعمار في منتصف الخمسينات في جملة أخطاء بالسياسات التي اتبعتها وبمنهج تنفيذ سياساتها مما أعطى التخلف القسري أبعاداً جديدة من الشك في تعدي الشمالي على حقوق وخصوصيات الجنوبي والمهمش الشمالي ومن ذلك

● طلب الجنوبيون ليلة التصويت على الاستقلال في 1955 وعدا بتوزيع السلطة بنظام الفيدريشن ووافق البرلمان على ذلك بدون اتخاذ إجراءات تنفذ خطة عملية تطمئن الجنوبيين على نوايا الشماليين الطيبة نحوهم.

● وعندما وزعت المناصب الإدارية العليا بالسودنة ولم يكن هناك جنوبي أو مهمش ذو كفاءة لتولي أي منصب عال في الدولة: (إداريا).. فلم يفطن السياسيون الشماليون لعلاج هذه الحالة استثنائياً.

● وعندما آلت القيادة العليا بقوات الدفاع السودانية التي كان البريطانيون يقودونها رديفاً للجيش البريطاني المحتل.. لم يكن هناك جنوبي ولا مهمش في سلك الضباط العالي يمثل هذا القطاع من السودانيين.. بل كان الضباط العظام والصغار شماليين وكان الصف العسكري الأدنى من الجنوبيين والمهمشين.. ولم يفهم العسكري خروج الأجنبي إلا بمعنى واحد هو أنه أصبح شريكا في الميراث وأن الضابط الشمالي استأثر به دونه.. ولم تكن هناك خطة سياسية فورية لسد هذه الثغرة.

● وعندما جرت الانتخابات البرلمانية الثانية ولم ينضج في الجنوب نظام حزبي بعد ولم يكن نصف المتعلم الكنسي يعرف إجراءات الترشيح والانتخابات غافله حفنة من التجار الشماليين العاملين في الجنوب فترشحوا مع المحليين ثم استعملوا أدوات الطعن في المرشحين أمام القضاء المحلي الذي اسقط عشرين مرشحاً جنوبياً وفاز في مكانهم عشرون شمالياً بالتزكية لتمثيل الجنوب في البرلمان.

ولجأ الجنوبيون إلى قيادات الأحزاب الشمالية لتساعدهم في إسقاط هذه العضوية المسافة بالقانون، فلم يفلحوا ولجأوا للبرلمان ليسقط هذه العضوية فلم يقف البرلمان معهم.. وكانت تلك النكسة حلقة جديدة من حلقات أزمة عدم الثقة الجنوبية في عدالة الشمالي.

● وعلى هدي الخطط الإنمائية الخمسية السوفييتية مضى السياسيون الشماليون في الخمسينات والستينات يضعفون خططاً لتنمية السودان فركزوا خططهم الخمسية على منطقة وسط السودان دون اعتبار خاص للمتظلمين في الجنوب والمهمشين في الشمال ونتج عن ذلك:

- مشروعات الرهد والدمازين الزراعية
- ومشروعات السكر في كنانة وعسلاية
- وامتدادات مشروع الجزيرة
- ومعاصر الزيوت والاحتياجات الغذائية
- والتوسع في شبكة الطرق المسفلتة بالمعونات الأجنبية

ولم تحظ المناطق المتخلفة بنصيب من التنمية المخططة ولا من المعونات الواردة من الخارج وأدى ذلك إلى حركة مطالبة قوية تصدرها نواب الغرب والشرق والجنوب وآزرتها حركات وروابط قبلية وإقليمية ولكن قوة المؤسسة الحزبية قهرت رغباتهم جميعا مثلما قهرت الموسسة العسكرية الانقلابية المطالبة الشعبية بها عندما تولت السلطة باسم الإصلاح.

الثقل في العاصمة والوسط

أصبح واضحاً للمهمشين في الجنوب والشمال أن المؤسسة السياسية الحزبية والمؤسسة العسكرية الانقلابية عندما تتعاقبان على الحكم تركزان على العاصمة المثلثة والإقليم الأوسط.

وأتذكر أنه جرى استقراء إحصائي لنصيب العاصمة والإقليم الأوسط من التقدم الاقتصادي بعد الاستقلال فاتضح منه أن 83 % مما تم من إنجازات اقتصادية وخدمات منذ خروج الاستعمار إلى عام 1969 تركز في العاصمة المثلثة والإقليم الأوسط وكان حظ كل بقية السودان شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً 17 %.

رد الفعل؟

كان رد الفعل العام على تركيز النشاط الإنمائي في العاصمة والإقليم الأوسط:

● ان قويت حركة المطالبة بتنمية متوازنة وعادلة وقادت هذه الحركة روابط إقليمية لها قيادات مشتركة متعلمة وقبائلية.

● وتوسعت حركة النزوح من الأقاليم إلى العاصمة والإقليم الأوسط وتشكلت من النازحين طالبي العمل والخدمات مدن عشوائية تحيط بكل مدن العاصمة الثلاث والمدن الكبرى في الإقليم الأوسط.

● بدأ التدخل الأجنبي بتقديم العون الصحي والتعليمي ومياه الشرب النقية للعشوائيين ثم تطور تدريجياً إلى تدخل سياسي لتأمين حقوقهم الأساسية بالمعونات وبالضغط على الدولة.

● وبدأت حركة هنا وهناك في أقاليم الشمال باعتداءات مسلحة أطلقت عليها حكومات ذلك الوقت عصابات النهب المسلح وفي نظري هي حركات كانت تعبر عن تظلم مما حدث وتريد أن تقول إنها ما دامت لم تحصل على حقها العام بالوسائل العادلة فلا بأس من الاستيلاء عليه بالقوة من الدولة ومن غير الدولة.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

أما قادة التظلم الجنوبيون فاتخذوا خطين في إظهار تبرمهم مما هو جار ومحاولة الحصول على ما يمكن الوصول إليه بكل الوسائل:

- ظل بعض منهم يشترك في السلطة المركزية والإقليمية في أي مستوى يتكرم به الشماليون عليه من مستوى مساعد الرئيس إلى الوزراء والمناصب الإدارية.
- وذهب بعضهم إلى بعث حركة التمرد المسلح بعد إخمادها في عام 1955 في سلسلة من حركة الأنانيا الأولى والأنانيا الثانية التي انتهت باتفاقية أديس اباب عام 1972. ثم بعثوا العمل المسلح في عام 1982 باسم الحركة الشعبية لتحرير السودان (كل السودان).

ووجدت هذه السلسلة من حركات التمرد الجنوبية عوناً عسكرياً وسياسياً ومالياً ودبلوماسياً أفريقياً وعربياً وغربياً أوروبياً وأمريكياً. ولكل من قدم مساعداته أجندة خاصة به.

أفحش الأخطاء

ومن أفحش الأخطاء التي وقعت فيها قيادة العمل السياسية الحزبية والعسكرية الانقلابية أنها لم توظف التنوع السوداني توظيفاً إيجابياً يحقق وحدة وطنية تساعد في تخفيف حدة الأزمة السودانية فتكون منطلقاً لحلول عبقرية كما يقول أخونا الصادق المهدي..

فالسودان يزخر بالتعدد في الأعراق والأديان والثقافات والأعراف والأقاليم ووسائل المعيشة واللغات واللهجات:

(أ) فمن حيث الأديان فإن النسب هي:

80 % مسلمون (عرب ومستعربون)

17 % إحيائيون (أفارقة قدماء)

3 % مسيحيون (أفارقة وأقباط)

(ب) ومن حيث الأعراق فإن النسب هي:

40 % عرب مسلمون

40 % مستعربون مسلمون

20 % أفارقة قدماء

(ج) ومن حيث القبائل فهي:

(+) 100 قبلية في الشمال تساوي 28 مليون نسمة

130 قبيلة في الجنوب وتساوي 7 ملايين نسمة

مجموع السكان 35 مليون نسمة

ولعله من المفيد للقارئ العربي أن يعلم أن التركيبة العربية في السودان كالتالي:

25 % قحطانيون وهم رعاة بقر وغنم وإبل يتنقلون في السهول والوديان السودانية الغربية والوسطى.

10 % عدنانيون يقطنون المدن وضفاف النيل ويعملون بالتجارة والزراعة والصناعة والتخصصات الإدارية وورثوا قيادة الحكم عن النوبيين والاستعمار.

5 % اندليسون (مغاربة) دخلوا السودان بعد مأساة الأندلس ويسكنون المدن وضفاف الأنهار ويعملون في نفس تخصصات العدنانيين ويتميزون عليهم بقيادة الفرق الصوفية.

أما المستعربون فهم قبائل من السكان القدماء امتزجوا بالعرب ومن هؤلاء على سبيل المثال: الفونج (في الوسط) والتنجر والماساليت والفور (في الغرب) والنوبة (في وسط غرب السودان) والمسبعات في الغرب ووسط الغرب وبعض فصائل من الزغاوة (في شمال كردفان).. وغيرهم كثيرون ونسبتهم كما أشرنا إليها عالية تبلغ 40 % (مستعربون ومسلمون).

ولكن القيادات السياسية من العدنانيين وأغلبهم من آل البيت والقيادات العسكرية وأغلبهم من ربيعة وكنانة آثروا عدم الاستفادة من هذا التنوع مما أدى إلى نزعة جديدة في الصراع القبلي زيادة على الصراع العرقي في الشمال.

أما في الجنوب فإن النسب تكاد تكون متساوية وإن القبائل واللهجات متعددة ومتباينة الفروقات فهناك:

- الاستوائيون وهم قصار القامات وذوو ألوان سمراء فاتحة واستوائيو السودان امتداد لسكان اوغندا والكونغو الديمقراطية وهم سكان أفريقيا القدماء الذين تقول النظريات الحديثة إن بني الإنسان هم سلالة هؤلاء الناس ومن هنا انتشر الإنسان في بقية القارات.. ويعملون بالزراعة وجمع الفاكهة.
- والنيليون طوال القامات وذوو ألوان داكنة وتقول النظريات إنهم كانوا في مكان ما في المحيط الهندي ثم عادوا إلى أفريقيا أخيراً بعد أن غرقت أوطانهم اثر التغيرات التي نتجت عن انشطار أفريقيا عن آسيا والتحام شبه القارة الهندية والصينية ببقية آسيا.. ويستدل على ذلك بوجود قبائل شبيهة لهم في المرتفعات الصينية الهندية والآسيوية الأخرى.. إذن فهم وفدوا حديثاً إلى أفريقيا بعد أن غادرها جدهم الاستوائي في تاريخ غابر..

التنوع السوداني

ما زال هذا التنوع السوداني بكل أبعاده من أغنى ثروات السودان إذا وظف كما ينبغي له في تأسيس الوحدة الوطنية فيفجر طاقات بناء ثرة العطاء بدل أن تهدر مثلما هو جار الآن بالقتال والدمار وإضعاف إرادة عملاق أفريقيا بأرضه الخصبة ومائه غير المنقطع وتاريخه العريق.. لقد كان السودانيون القدماء (الكوشيون) هم العمود الفقري في بناء الحضارة المصرية في كل حقبها عسكراً ومزارعين وعمالة بناء وساهموا في بناء الأسطورة المصرية الحضارية التي ما زال العالم مبهوراً بها.. وكان نفس هؤلاء الكوشيين هم الذين فجروا صناعة الحديد في مروى ومنها انتشرت في أفريقيا شرقاً وغرباً وجنوباً حتى أن علماء التاريخ القديم يطلقون عليها برمنغهام افريقيا (في الألفية الرابعة قبل الميلاد) مثلما كانت برمنغهام أسطورة الصناعة الأوروبية في القرن السابع عشر والثاني عشر الميلادي.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

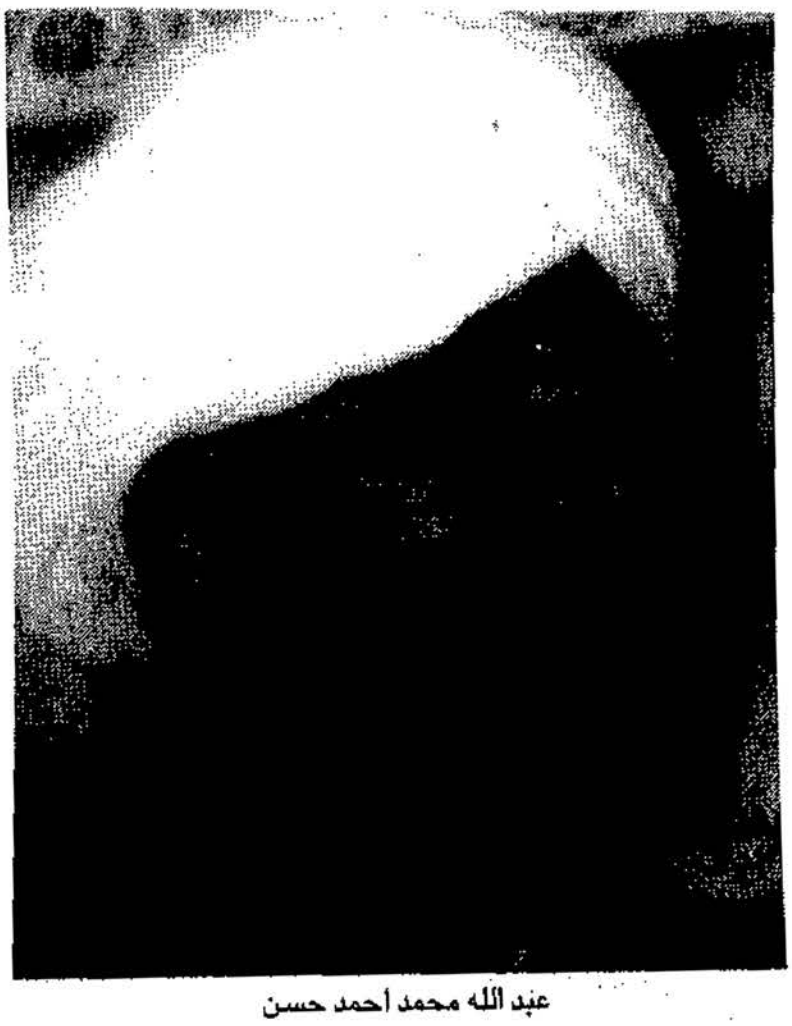

عبد الله محمد أحمد حسن

هامش (1)
تعريف بجماعة الأزمات الدولية:

- شكلت الجماعة من خمس وخمسين شخصية كانت تشغل مناصب سياسية عليا في بلادها منهم رؤساء جمهوريات ورؤساء وزارات ووزراء وسفراء وناشطون في القضايا الانسانية واعلاميون وقضاة وعسكريون وامنيون وخبراء في المنظمات الدولية.. من بين هؤلاء الخمس وخمسين متطوعا ستة عشر اوروبياً واربعة عشر امريكياً واربعة افارقة وثلاثة عرب والباقون من جنسيات ودول اخرى.
- اصدرت ثمانين تقريرا عن خمسة وعشرين قطرا بها ازمات في شرق اوروبا والشرق الاوسط وافريقيا واسيا وجنوب امريكا منذ 1995 والى 2002 ومدون في ادبياتها انها توزع تقاريرها - فقط - لمطابخ القرار في الدول المعنية وفي اوروبا والمنظمات الدولية ووسائل الاعلام الدولية والاكاديميات.
- وتفخر الهيئة بأنها توظف لدراسة الأزمات شخصيات ذات خبرات عالية في جمع وغربلة المعلومات وتحليلها واستخلاص النتائج من ثناياها وتقديم توصيات عملية وافكار تتفتق عن حلول معقولة سريعة في اخماد الأزمات قبل استفحالها.
- اصدرت تقريرا عن ازمة السودان بعنوان «الدين والنفط والارض» من 270 صفحة في يناير 2002 واصدرت ملحقا باضافات جديدة له في ابريل 2002.

* وزير ودبلوماسي سوداني سابق

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية